

فضل الغني في شرح حديث الولي

عناصر الخطبة:

التحذير من معاداة أولياء الله
مَنْ هو الولي؟
أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه.
أسباب تجلب محبة الله.
ثمرات محبة الله لعبده
فوائد الحديث

التفصيل

- لفظ الحديث:

أخرج البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ)).^(١)

محاوَر الحديث:

- المحور الأول: التحذير من معاداة أولياء الله أو التعدي عليهم بقول أو فعل
وذلك في قوله ((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ)). يَعْنِي: فَقَدْ أَعْلَمْتُهُ بِأَنِّي مُحَارِبٌ لَهُ، حَيْثُ كَانَ مُحَارِبًا لِي بِمُعَادَاةِ أَوْلِيَائِي.^(٢)

وهذا يدل على خطورة معاداة أولياء الله عز وجل، وأن أهلها وصفوا بهذا الوصف، وهو أنهم محاربون لله عز وجل، والله تعالى محارب لهم، فهذا يدلنا على قبح معاداة أولياء الله، وأن المطلوب هو موالاتهم

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢)

(٢) جامع العلوم (٢/ ٣٣٥)

ومحبتهم، وذلك في الله ومن أجل الله، والحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان، وأما معاداة أولياء الله فهي من أقيح الأمور ومن أسوأ الأشياء، وذلك لأن المطلوب في حقهم الولاية، وليس المعاداة. (٣)

وهذه آيات من كتاب الله تعالى تدل دلالة واضحة على خطورة التعدي على أولياء الله:

قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج: ٣٨]

وقال تعالى {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [غافر: ٥١]، وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النور: ١٩] وقال تعالى {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا} [الأحزاب: ٥٨]

قال ابن رجب - رحمه الله -: فأولياء الله تحب مواليتهم، وتحرم معاداتهم، كما أن أعداءه تحب معاداتهم، وتحرم مواليتهم، فإنه تعالى يتولى نصرة أوليائه، ويحبهم ويؤيدهم، فمن عاداهم، فقد عادى الله وحاربه. (٤)

وهذا تهديد من رسول الله ﷺ لمن يتعدى على أولياء الله

فَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ - رضي الله عنه -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانَ قَلْبَهُ، لَا تَعْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مِنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ)). (٥)

(٣) شرح الأربعين النووية - العباد (٧ / ٣٣)

(٤) جامع العلوم (٢ / ٣٣٥)

(٥) رواه أبو داود (٤٨٨٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢ / ١٣٢٣)

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: ((يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفِضِ الْإِيمَانَ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤَدُّوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ))
قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ: مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ. (٦)

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ)) (٧)
- المحور الثاني مَنْ هو الولي؟ وهل الولاية محصورة في مشايخ الطرق؟!
قال تعالى {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس:
٦٢، ٦٣]

قال ابن تيمية - رحمه الله -: فَكُلُّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا تَقِيًّا كَانَ لِلَّهِ وَلِيًّا. (٨)
قال ابن رجب - رحمه الله -: وَأَصْلُ الْوَلَايَةِ الْقُرْبُ، وَأَصْلُ الْعِدَاوَةِ الْبُعْدُ، فَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ يَتَّقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِمَا يُعْرَبُّهُمْ مِنْهُ. (٩)

(٦) رواه الترمذي (٢٠٣٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٢٣ / ٢)

(٧) رواه ابن ماجه (٢٥٤٦) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٢ / ٢)

(٨) الفتاوى الكبرى (٢٠٦ / ١)

(٩) جامع العلوم (٣٣٥ / ٢)

- هل الولي هو من تظهر على يديه خوارق العادات ولو كان عاصياً أو معانداً لرب الأرض والسموات؟!

قال عز الدين ابن عبد السلام -رحمه الله-: إِذَا رَأَيْتَ إِنْسَانًا يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ وَيَمْشِي عَلَى الْمَاءِ أَوْ يُخْبِرُ بِالْمَغِيْبَاتِ، وَيُخَالِفُ الشَّرْعَ بِارْتِكَابِ الْمُحْرَمَاتِ بِغَيْرِ سَبَبٍ مُحَلَّلٍ، أَوْ يَتْرُكُ الْوَاجِبَاتِ بِغَيْرِ سَبَبٍ مُجَوِّزٍ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ شَيْطَانٌ نَصَبَهُ اللَّهُ فِتْنَةً لِلْجَهْلَةِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِبَعِيدٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي وَصَفَهَا اللَّهُ لِلضَّلَالِ، فَإِنَّ الدَّجَالَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فِتْنَةً لِأَهْلِ الضَّلَالِ، وَكَذَلِكَ يَأْتِي الْخُرْبَةَ فَتَتَّبِعُهُ كُنُوزُهَا كَيْعَاسِيبِ النَّحْلِ، وَكَذَلِكَ يُظْهِرُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ. (١٠)

وقال أبو سعيد الخادمي الحنفي -رحمه الله-: إِذَا رَأَيْتَ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ أَوْ يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ وَلَيْسَ مُطَابِقًا لِلشَّرِيعَةِ الْعَرَاءِ حَدَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ فَلَا تُصَدِّقْهُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ إِذْ لَا طَرِيقَ إِلَى اللَّهِ سِوَى الشَّرِيعَةِ فَكُلُّ مُخَالَفٍ مِنْ فَرِيقٍ فَهُوَ غَرِيقٌ أَوْ حَرِيقٌ. (١١)

فإن اشتبه عليك أهو من أولياء الرحمن أو من أولياء الشيطان؟

قال ابن القيم -رحمه الله-: فَإِنْ اشْتَبَهَ عَلَيْكَ، فَاكْشِفْهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ: فِي صَلَاتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ لِلسُّنَّةِ وَأَهْلِهَا أَوْ نَفَرَتُهُ عَنْهُمْ، وَدَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ وَالْمُتَابَعَةِ وَتَحْكِيمِ السُّنَّةِ، فَرِنُهُ بِذَلِكَ، وَلَا تَزِنُهُ بِحَالٍ وَلَا كَشْفٍ وَلَا خَارِقٍ، وَلَوْ مَشَى عَلَى الْمَاءِ وَطَارَ فِي الْهَوَاءِ. (١٢)

من صفات أولياء الله:

أشداء على الكفار - رحماء بينهم. قال تعالى {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} [الفتح: ٢٩]

(١٠) قواعد الأحكام (٢/ ٢٣٠)

(١١) بريقة محمودية (١/ ١٠٦)

(١٢) الروح (ص: ٢٦٥)

- فَضَّلَ النَّبِيُّ عَلَى الْوَلِيِّ:

- اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَخَلْفُهَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ تَفْضِيلُ أَحَدٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَالَ الْقَشِيرِيُّ: رُتِبَةُ الْأَوْلِيَاءِ لَا تَبْلُغُ رُتِبَةَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلْإِجْمَاعِ الْمُتَعَقِدِ عَلَى ذَلِكَ. (١٣)

قال الطحاوي - رحمه الله -: وَلَا نُفْضَلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ. (١٤)

- المحور الثالث أفضل ما يتقرب به العبد به إلى ربه الفرائض

وذلك في قوله ((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ))

وهذا يدل على أن فعل الفرائض هو الأحب إلى الله عز وجل، وأن العبد ما تقرب إلى الله عز وجل بشيء أحب إليه تعالى مما افترض عليه، وذلك لأنه يكون أدى واجباً وترك أمراً محرماً، فلو فعل فإنه يؤجر، وإذا ترك الأوامر فإنه يأثم، وكذلك إذا فعل النواهي فإنه يأثم، وإذا تركها من أجل الله عز وجل فإنه يؤجر. (١٥)

وَعَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ آدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْوَرَعُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَصِدْقُ النِّيَّةِ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(١٣) بستان العارفين ص ١٦٩.

(١٤) شرح الطحاوية (ص: ٥٠٤)

(١٥) شرح الأربعين النووية - العباد (٣٣ / ٨)

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ -رحمه الله-، فِي خُطْبَتِهِ: أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ، وَاجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا افْتَرَضَ عَلَى عِبَادِهِ هَذِهِ الْفَرَائِضَ لِيُقَرَّبَهُمْ مِنْهُ، وَيُوجِبَ لَهُمْ رِضْوَانَهُ وَرَحْمَتَهُ.

قال ابن رجب -رحمه الله-: وَأَعْظَمُ فَرَائِضِ الْبَدَنِ الَّتِي تُقَرَّبُ إِلَيْهِ: الصَّلَاةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ)).^(١٦)

قال الشيخ عبد المحسن البدر حفظه الله: في هذه الجملة وما بعدها بيان أن ولاية الله إنما تحصل بالتقرب إليه بأداء الفرائض، والإتيان مع ذلك بالنوافل، وهو يدلُّ على أن التقرب بأداء الفرائض أحبُّ إلى الله من النوافل؛ لأنَّ في ذلك فعل ما أوجب الله وترك ما حرَّم الله، والآتي بالواجبات التارك للمحرَّمات هو المقتصد، ومن أتى بها وأتى بالنوافل معها فهو السابق بالخيرات.^(١٧)

- المحور الرابع الأسباب التي تجلب محبة الله تعالى:

منها: كثرة النوافل. كما في حديث الباب.

قال ابن القيم -رحمه الله-: التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ. فَإِنَّمَا تُوصَلُهُ إِلَى دَرَجَةِ الْمُحِبِّيَّةِ بَعْدَ الْمُحِبَّةِ.^(١٨)

ومنها: متابعة الرسول ﷺ.

قال تعالى { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [آل

عمران: ٣١]

(١٦) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٣٦)

(١٧) فتح القوي المتين (ص: ١٢٨)

(١٨) مدارج السالكين (٣/ ١٨)

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: لَمَّا ادَّعَتِ الْقُلُوبُ مَحَبَّةَ اللَّهِ: أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ المِحْنَةِ {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} (١٩).

ومنها: الذلة على المؤمنين والعزة على الكافرين والجهاد في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.

قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ } [المائدة: ٥٤]

ومنها: كثرة ذكره سبحانه؛ لأنه من أحب شيئا أكثر من ذكره.

قال ابن القيم - رحمه الله -: فَلَا رَيْبَ أَنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ. (٢٠)

ومنها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم؛ لأنه ما تقرب المتقربون بمثل كلام الله تعالى، وهو القرآن.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهُ عَلَى الْقُرْآنِ، فَإِنَّ أَحَبَّ الْقُرْآنِ فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ تَعَالَى، فَإِنَّهَا الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، فَمَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. (٢١)

عَنْ فَرَوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: كُنْتُ جَارًا لِخَبَّابٍ فَخَرَجْتُ مَعَهُ يَوْمًا مِنَ الْمَسْجِدِ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي، فَقَالَ: يَا هَنْتَاهُ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّكَ لَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلَامِهِ. (٢٢)

وَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ - رضي الله عنه - لَوْ طَهَّرْتُ قُلُوبُكُمْ مَا سَبِعْتُمْ مِنْ كَلَامِ رَبِّكُمْ. (٢٣)

(١٩) مدارج السالكين (٣/ ٢٢)

(٢٠) مدارج السالكين (٣/ ١٧)

(٢١) أمالي ابن سمعون الواعظ (ص: ١٩٢)

(٢٢) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ١٦٥)

- فضل المداومة والاستمرار على العمل الصالح لقوله ((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ)) فلا يعتبر الإنسان متقرباً إلى الله بالنوافل محافظاً عليها إلا باستمراره على هذه الطاعة، وإلا فلا يعتبر متقرباً إلى الله بالنوافل. فالعمل الصالح المستمر مهم لأمرين:

أولاً: أن هذا هو هدي النبي ﷺ.

عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا-، قَالَتْ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا عَمَلَ عَمَلًا أُتِبْتُ)) (٢٤).

ثانياً: أن الأعمال المداوم عليها أحب إلى الله تعالى.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: ((أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ)). (٢٥)

- المحور الخامس ثمرات محبة الله تعالى للعبد

١ - حفظ الله للعبد في سمعه وبصره وجوارحه

وذلك في قوله ((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ))

فالله إذا أحب إنساناً وفقه وسدده، ففي بصره فلا يرى إلا خيراً، وفي سمعه فلا يسمع إلا خيراً، وفي يده فلا يبطش إلا على حق. وفي رجله فلا يمشي إلا إلى خير. وإذا ظفر الإنسان بمحبة الله عز وجل سدده الله عز وجل في تصرفاته وفي أفعاله، فلا يستعمل سمعه إلا في خير، ولا يستعمل بصره إلا في خير، ولا يستعمل يده

(٢٣) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٣٨٠)

(٢٤) رواه مسلم (٧٦٤)

(٢٥) رواه البخاري (٦٤٦٥) ومسلم (٧٨٣)

إلا في خير، ولا يستعمل رجله إلا في المشي إلى خير، فيكون مسدداً في أعماله وفي تصرفاته وفي حركاته وسكناته؛ لأن هذه الحواس وهذه النعم التي أنعم الله تعالى بها على العبد في صحته وعافيته استعملها فيما يعود عليه بالخير،

وامتنع وابتعد عن استعمالها فيما يعود عليه بالضرر. (٢٦)

٢- استجابة الله عز وجل لدعاء عبده

وذلك في قوله ((وَإِنْ سَأَلْتَنِي لَأُعْطِيَنَّكَ))

قال ابن رجب - رحمه الله -: يَعْنِي أَنَّ هَذَا الْمُحْبُوبَ الْمُقَرَّبَ، لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ خَاصَّةٌ تَقْتَضِي أَنَّهُ إِذَا سَأَلَ اللَّهَ شَيْئًا، أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَإِنْ اسْتَعَاذَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ، أَعَاذَهُ مِنْهُ، وَإِنْ دَعَا، أَجَابَهُ، فَيَصِيرُ مُجَابَ الدَّعْوَةِ لِكَرَامَتِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (٢٧)

فَعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((إِنَّ اللَّهَ حَيِّي كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدَهُ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ)). (٢٨)

وَقَدْ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مَعْرُوفًا بِإِجَابَةِ الدَّعْوَةِ مِنْهُمْ:

- سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -:

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: شَكَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَّوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يُجَسِّنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقِ إِنَّ

(٢٦) شرح الأربعين النووية - العباد (٣٣ / ٩)

(٢٧) جامع العلوم والحكم (٢ / ٣٤٨)

(٢٨) رواه أبو داود (١٤٨٨) وصححه الألباني في صحيح (١ / ٣٦٢)

هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ تَصَلِّيَ، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَا أَنَا وَاللَّهِ، فَإِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أَصَلِّي صَلَاةَ الْعِشَاءِ، فَأَرْكُدُ فِي الْأَوَّلِينَ وَأُخْفُ فِي الْآخِرِينَ، قَالَ: ذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رَجَالًا إِلَى الْكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَلَمْ يَدْعُ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ لَا دَعْوَانَ بِثَلَاثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطَّلَ عُمَرُ، وَأَطَّلَ فَقْرُهُ، وَعَرَّضَهُ بِالْفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدَ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدَ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطَّرِيقِ يَغْمِزُهُنَّ. (٢٩)

- أنس بن النضر - رضي الله عنه -:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه -، أَنَّ الرَّبِيعَ عَمَّتُهُ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ، فَطَلَبُوا إِلَيْهَا الْعَفْوَ فَأَبَوْا، فَعَرَّضُوا الْأَرْضَ فَأَبَوْا، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَوْا، إِلَّا الْقِصَاصَ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُكْسِرُ ثَنِيَّةَ الرَّبِيعِ؟ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا تُكْسِرُ ثَنِيَّتَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((يَا أَنَسُ، كِتَابُ اللَّهِ الْقِصَاصُ)). فَرَضِيَ الْقَوْمُ فَعَفَوْا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ)). (٣٠)

(٢٩) رواه البخاري (٧٥٥)

(٣٠) رواه البخاري (٤٥٠٠)

- سعيد بن زيد - رضي الله عنه - أحد العشرة المبشرين بالجنة:

عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ، ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَخَاصَمْتُهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ أَخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: ((مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طُوقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ))، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيْتَةً بَعْدَ هَذَا. فَقَالَ: اللَّهُمَّ، إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَأَعْمِ بَصَرَهَا، وَاجْعَلْ قَبْرَهَا فِي دَارِهَا، قَالَ: " فَرَأَيْتُهَا عَمِيَاءَ تَلْتَمِسُ الْجُدْرَ تَقُولُ: أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، فَبَيْتًا هِيَ تَمِثِي فِي الدَّارِ مَرَّتَ عَلَى بَيْتِي فِي الدَّارِ، فَوَقَعَتْ فِيهَا، فَكَانَتْ قَبْرَهَا. (٣١)

٣ - تفريج كربه وذلك في قوله ((وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ)) كان بدمشق رجل له بغل يكرهه من دمشق إلى تل الزبداني (مكان مشهور بين دمشق وبعلبك) ويحمل عليه الناس فذكر أنه أكرى بغله مرة رجل يحمل عليه متاعا له بأجرة معلومة فلما صار خارج الدرب لقيه رجل وسأله أن يحمله على رأس الحمل ويأخذ منه أجرته، قال: فرغبت في الكراء وحملته فوق الحمل، قال: فلما صرنا ببعض الطريق، قال لي: هل لك أن تأخذ بنا هذا الطريق فإنه مختصر، قال: فقلت له أنا لا أعرف هذا الطريق، فقال: أنا أعرفه وقد سلكته مرارا كثيرة، قال: فأخذت في ذلك الطريق فأشرفت على موضع وعرّ موحش وواد عظيم هائل واستوحشت وجعلت أنظر يمنة ويسرة ولا أرى أحدا ولا أرى أيّ إنسان، فبينما أنا كذلك إذا به يقول لي: امسك برأس البغل حتى أنزل! فقلت له: أيش تنزل وقد أشرفت في هذا الموضع مر بنا نلحق البلد، فقال: خذ ويلك برأس البغل حتى أنزل وقد أشرفت على واد عظيم يخاليل لي أن فيه أقواما موتى، فأمسكت

(٣١) رواه مسلم (١٦١٠)

برأس البغل حتى نزل ثم شدَّ على نفسه ثيابه وأخرج سكيناً عظيماً من وسطه وقصدني به ليقتلني فعدوتُ من بين يديه وأنا أقول يا هذا خذ البغل وما عليه، فقال: هذا هو لي وإنما أريد أقتلك، فخوفته بالله عز وجل وتضرعت إليه وبكيت وحذرتُه من عقوبة تلحقه فأبى وقال: ليس بدَّ من قتلك فاستسلمتُ في يده وقلت: دعني أصلي ركعتين ثم افعل ما بدا لك، فقال: افعل ولا تطول فابتدأتُ بالتكبير وارتجتُ عليَّ القراءة حتى لم أذكر من القرآن حرفاً واحداً وأنا واقف متحير وهو جالس بحذائي يقول: هيه أفرغ فأجرى الله على لساني بعد وقت فقرأتُ { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ } فإذا أنا بفارسٍ قد أقبل من نحو الوادي ويده حربة فرمى بها الرجل فما أخطأتُ فؤاده وخرَّ صريعاً، فتعلقتُ بالفارس وهو منصرفٌ وقلت له: بالله من أنت الذي منَّ الله بحياتي بظهورك فقال أنا رسول " من يجيب المضطر إذا دعاه " قال فأخذت البغل والحمل ورجعت إلى دمشق سالماً. (٣٢)

٤- قذف محبته في قلوب أوليائه

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنْ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ ينادي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ)). (٣٣)

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِي -رحمه الله-: عَلَى قَدْرِ حُبِّكَ لِلَّهِ يُحِبُّكَ الْخَلْقُ، وَعَلَى قَدْرِ حَوْفِكَ مِنَ اللَّهِ يَهَابُكَ الْخَلْقُ، وَعَلَى قَدْرِ شُغْلِكَ بِاللَّهِ يَشْتَغِلُ فِي أَمْرِكَ الْخَلْقُ. (٣٤)

(٣٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٨ / ٢٥١)

(٣٣) رواه البخاري (٣٢٠٩) ومسلم (٢٦٣٧)

(٣٤) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ١٢٠٦)

أهمُّ الدروس والعبر المستفادة من الحديث

- ١ - بيان فضل أولياء الله، وشدة خطر معاداتهم.
- ٢ - أن ولاية الله عزَّ وجلَّ تحصل بأداء الفرائض وفعل النوافل.
- ٣ - أن أداء الفرائض هو أحبُّ الأعمال إلى الله تعالى، وذلك لما فيها من إظهار عظمة الربوبية، وذلك العبودية
- ٤ - إثباتُ صفة المحبة لله عزَّ وجلَّ.
- ٥ - تفاوتُ الأعمال على حسب محبة الله إياها.
- ٦ - أن فعل النوافل بعد أداء الفرائض يجلبُ محبة الله عزَّ وجلَّ.
- ٧ - أن محبة الله عزَّ وجلَّ تجلبُ للعبد إجابة دعائه وإعادته مما يخافُ.
- ٨ - أولياء الله تعالى يتفاوتون في درجاتهم وأعمالهم فهم إما سابقون أو مقرَّبون.
- ٩ - من لم يتقرب إلى الله تعالى بالطاعات والبعد عن المعاصي والمنكرات، فليس بولي لله، بل وليُّ للشيطان، ولو طار في الهواء أو مشى على الماء. (٣٥)

والحمد لله رب العالمين